

جهاد المرأة

على ضوء سيرة السيدة زينب عليها السلام



محاور الموضوع

١. نظرة الإسلام إلى المرأة.
٢. جهاد المرأة حسن التبعل.
٣. الجهاد واجب كفائي.
٤. وحيث لم تتحقق الكفاية.
٥. تنزل المرأة إلى الميدان.
٦. كربلاء وزينب عليها السلام.

الهدف

التعريف بالدور الجهادي للمرأة شرعاً وواقعاً، من خلال التاريخ، لا سيما تأريخ السيدة زينب عليها السلام.

تصدير الموضوع

«الجهاد غير واجب على النساء، ولكن، إذا ما حدث هجوم ضد البلاد الإسلامية، فإن على الجميع، نساء ورجالاً، أن يهب للدفاع»^(١).

(١) المرأة في فكر الإمام الخميني، ص ٤٧.

- نظرة الإسلام إلى المرأة

يقول الشهيد آية الله الشيخ مرتضى مطهري رحمه الله: «إن القرآن نظر إلى المرأة كما نظرت إليها الطبيعة. ومن هذه الناحية، نجد الانسجام الكامل بين أوامر القرآن وأوامر الطبيعة. المرأة في القرآن هي نفس المرأة في الطبيعة، إن هذين الكتابين الإلهيين، أحدهما تكويني والآخر تدويني، مع بعضهما»^(١).

فالقرآن يقدم النظرة الإسلامية للمرأة، وهي التي تتوافق مع تكوينها الطبيعي، فيطلب منها الدور الذي يتوافق مع طبيعتها، ويعطيها كل الحقوق التي تمكنها من أداء هذا الدور.

- جهاد المرأة حسن التبعل

وفدت أسماء بنت يزيد من سكن بن رافع بن امرئ



(١) من مقدمة كتاب «نظام حقوق المرأة في الإسلام»، ص ١٧.

تبعل إحداكن لزوجها، وطلبها لمرضاها، واتباعها لموافقتها، يعدل ما ذكرت للرجال». فانصرفت أسماء وهي تهلل وتكبر استبشاراً بما قال لها رسول الله ﷺ^(٢).

- الجهاد واجب كفائي

يؤكد الإسلام، من الفتاوى المختلفة للفقهاء، أن الجهاد العسكري والأمني، أي الجهاد في مواجهة الأعداء، إنما هو واجب كفائي. ومع تصفح الرسائل العملية، في باب الجهاد، يتبين اليقين في ذلك. وقد راعى المعصومون عليه السلام، من النبي ﷺ إلى علي عليه السلام والأئمة من بعده، هذا الأمر. فعندما كانت الكفاية متحققة في الجهاد في وجه أعداء الإسلام والولاية، لم تكن هناك أية مشاركة للنساء.

- وحيث لم تتحقق الكفاية؟

لقد بين التاريخ مشاركات نسائية رائدة، في مواجهة الأعداء بما يتناسب مع طبيعة المرأة. وقد شاركت النساء مع النبي ﷺ

القيس الأشهلية الأنصارية على رسول الله ﷺ في جماعة من النساء، فقالت:

بأبي أنت وأمي، يا رسول الله؛ أنا وافدة النساء إليك. إن الله عز وجل، بعثك إلى الرجال والنساء كافة، فأمنّا بك وبإهلك. وإنّا، معشر النساء، محصورات، مقصورات، قواعد في بيوتكم، ومقضى شهواتكم، وحاملات أولادكم. وإنكم معشر الرجال، فضّلتُم علينا بالجمع والجماعات، وعيادة المرضى وشهود الجنائز، والحجّ بعد الحجّ، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله، عز وجل. وإن الرجل إذا خرج حاجاً أو معتمراً، أو مجاهداً، حفظنا لكم أموالكم، وغزلنا لكم أثوابكم، وربينا لكم أولادكم. أفما نشارككم هذا الأجر والخير؟ فالتفت رسول الله ﷺ إلى أصحابه، وقال:

هل سمعتم مقالة امرأة أحسن سؤالاً عن دينها، من هذه؟ فقالوا: بلى، يا رسول الله! فقال رسول الله ﷺ: «انصرفي يا أسماء، وأعلمي من وراءك من النساء أن حسن

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، ج ٤، ص ٢٢٥.

في مواجهة العقبات والصعاب التي اعترضت الدعوة، بدءاً من خديجة بنت خويلد (رض) التي عُوِّقبت باعتزال النساء لها، وأنفقت في سبيل دعوته كل ثروتها وجاهاها، ثم فاطمة بنت أسد التي حمته ووفته بنفسها وزوجها وأبنائها، وقاست معه كل أصناف المعاناة في شعب أبي طالب، ثم التحقت به مهاجرة ماشية حافية على قدميها من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، وتخطت مختلف المخاطر، ثم سمية أم ياسر (رض) التي كانت مع زوجها أول شهيدين في الإسلام. ثم النساء اللاتي بايعنه في العقبتين والشجرة والرضوان، ثم النساء اللاتي هجرن الأهل والديار إلى الحبشة ثم إلى المدينة، وأولئك اللاتي هاجرن إلى المدينة من مكة، ثم نساء الأنصار اللواتي لم يقل دورهن عن جهاد الرجال. وهذا ما ينطبق أيضاً على ما بعد النبي ﷺ حتى في عصرنا يقول الإمام الخميني قَدْ رَسَّخُ:

«الآن، حيث تتواجدون في جبهات القتال، ويتواجد جنودنا، ينصرهم الله، في الأماكن الحساسة، مَنْ الذي يقوم بتوفير احتياجاتهم؟ إن النساء هنّ اللاتي يقمن بإعداد الخبز لكم... إن النساء في صدر الإسلام كنّ يخرجن إلى الحرب، وكان معظمهن يعمل طوال

الوقت في اسعاف المصابين ومداواة الجرحى»^(١).

- تنزل المرأة إلى الميدان

«إذا لم تتوفّر الكفاية في الرجال، لتقاس رجال الأمة عن أداء دورهم، فإن النساء ينزلن إلى الميدان لمساعدة الرجال كنسبة المازنية الأنصارية، التي خرجت في أحد مع رسول الله ﷺ، حاملة قربة الماء تسقي أصحابه. وعندما تفرق الأصحاب عنه، بعد ترك التلة ونفاذ خالد في أصحابه ووصولهم إلى رسول الله ﷺ حملت على الأعداء، تارة بالسيف، وأخرى بالفأس، حتى أصيب بدنّها بجراحات كثيرة»^(٢). ومثل صفية بنت عبد المطلب، التي قامت في معركة الأحزاب بقتل من حاول التسلل إلى معسكر النبي ﷺ للتجسس وإلقاء الفتنة وجمع المعلومات، وهو من اليهود، وبعد أن قتلته قامت برمي رأسه إلى قومه أسفل الحصن، مما ألقي الرعب في قلوبهم»^(٣). وغير ذلك الكثير من النساء في هذا المضمار.

- كربلاء وزينب عاتقها

في كربلاء، كان دور المرأة رائداً في الجهاد، حتى في أرض الميدان، كما فعلت «أم وهب التي أقحمت ولدها، العريس، في أرض المعركة، ولم ترض

حتى قتل بين يدي أبي عبد الله ﷺ، وكانت خرجت تحمل معه وتقول: لن أعود حتى أموت معك»^(٤).

وكما فعلت كل النساء المسييات في حفظ أزواجهن بعد مقتلهم، حفظ أولادهم، وفي مواكبة المسيرة الحسينية، حتى العودة إلى المدينة.

ولكن، كان لنساء كربلاء قائدة، هاجرت معه، تاركة ديارها وأسررتها، مصطحبة معها ولديها عون ومحمد، اللذين قتلا مع أخيها الحسين ﷺ، وهي عقيلة بن هاشم زينب الكبرى عاتقها التي قدمت له جواد المنية، ثم واكبته حتى استشهد. ثم حمت العيال والأطفال. وعندما حاول الشمر قتل الإمام السجاد عاتقها المريض، رمت بنفسها عليه وقالت: «لا يُقتل حتى أقتل دونه»^(٥).

وكم قاست وكانت في رحلة السبي، وكم واجهت في الكوفة ومسجدها. حيث واجهت ابن زياد. ومرة أخرى حمت الإمام عندما أراد ابن زياد قتله قائلة: «حسبك يا ابن زياد، ما سفكت من دمائنا، إنك لم تُبق منا أحداً، فإن عزمت على قتله فاقتلني»^(٦).

ثم من خطبتها في مسجد دمشق الكبير في مواجهة الطاغية يزيد، ومهما قلنا، يظل قليلاً في جنب جهاد هذه العقيلة العظيمة.



(٤) اللهوف في قتلى الطفوف للسيد ابن طاووس، ص ٤٤.

(٥) تاريخ القرمان، ص ١٠٨، عنه السيد زينب للقرشي، ص ٢٧٢.

(٦) ن، م، ص ٢٩١.

(١) المرأة في فكر الإمام الخميني، إصدار مركز الإمام الخميني الثقافي، ص ٥٠.

(٢) رياحين الشريعة في ترجمة عالمات نساء الشيعة، للعلامة الشيخ ذبيح الله محلاتي، ج ٥، ص ٨٠، الإصا، ج ٤، ص ١٩٨.

(٣) أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير الجزري، ج ٥، ص ٤٩٢.